أبو الحسن علي الحسني الندوي

المأساة الأخيرة فى العالم العربى

دراستها من الناحية الدينية والخلقية والمبدئية والدعوية
و تحليل أسبابها و انعكاساتها

ملتزم النشر و التوزيع
المجمع الاسلامى العلمى (ندوة العلماء)
ص . ب ١١٩ - لكهنؤ (الهند)

www.abulhasanalinadwi.org

من مطبوعات المجمع الاسلامى العلمى - لكهنؤ (الهند)

رقم - ٢٣١

الطبعة الأولى

١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

المطبعة الندوية

مؤسسة الصحافة و النشر

ندوة العلماء لكهنؤ (الهند)

www.abulhasanalinadwi.org

بسم الله الرحمن الرحيم

المأساة الأخيرة فى العالم العربى

دراستها من الناحية الدينية و الخلقية والمبدئية والدعوية و تحليل أسبابها و انعكاساتها

الحمد لله وحده ، و الصلاة والسلام على من لا نبى بعده .

و بعد ، فقد كانت أعمال حركة « رسالة الانسانية » بـ « وسائل وإمكانيات محدودة » تجرى بنشاط ، وتتوسع آفاقها إلى نهاية شهر يوليو ١٩٩٠م ، و قد كان مؤتمر دلهى التاريخى المنعقد فى ١٧ / مارس ١٩٩٠م ، واجتماع لكهنؤ الناجح الذى انعقد فى ٢ / يوليو ١٩٩٠م خير مثال للقبول و الشعبية التى كانت تنالها هـذه الحركة ، و تأثيرها على النفوس ، ومما يدل على هذه الشعبية المتصاعدة ، الخطابات

www.abulhasanalinadwi.org

التى انهالت عـــلى مكتب الحركة ، و الطلبات التى تلقاها المسئولون بعقد هذه الاجتماعات فى المدن الهندية الأخرى و كانت هذه الرسائل تشف عن حرص المواطنين على تصعيد هـذه الحركة و تعميمها ، و عن رغبتهم الملحة فى حضور مثل هـــذه الاجتماعات ، و كان مما يبعث عـلى التفاؤل الكبير أن هذه الحركة بدأت تنال تأييد المثقفين و أصحاب الأذهان الخالية من العصبية الطائفية من السياسيين ، و أصحاب الضمائر الحرة من المواطنين من غير المسلمين ، و تسترعى استجابتهم لدعوتهـا استجابة حارة ، فأخذت هذه الدائرة تتوسع ، و لمع بريق الأمل على أفق الهند بأن الضمير الوطنى سينتصر نهائيا ، وأنه يمكن معالجة هذا الوضع غير الطبيعى الذى يهدد سلامة البلاد فى شكل الاضطرابات الطائفية ، وسفك دماء الأبرياء ، و أن القوى الفعالة الواعية ستدرك الخطورة ، و تتصدى لها ، و تبذل مجهوداً مركزاً موحداً لتغيير هذا الوضع .

بجانب هذه التطلعات برز هناك عامل استبشار آخر

www.abulhasanalinadwi.org

لا يقل عن انتصار « بالنسبة للملة الاسلامية فى الهند ، حالها و مستقبلها » وهو أن المسلمين فى هذه البلاد بدأوا مرة أخرى يشعرون بضرورة العودة إلى تمثيـــل دورهم كدعاة الحق ، وحماة الانسانية ومعلمى الأخلاق ، و بدأوا يفكرون من هذه الزاوية ، فكان هذا الشعور معقد الأمل بأن المسلمين سيستعيدون فى هـــذه البلاد مرة أخرى دورهم القيادى بجدارة واستحقاق و أنهم سيكسبون ثقة المواطنين كمجدفين لسفينة البلاد ، وكمنقذين لها من الشقاء و الدمار ، و يعتقد الناس أن جبهة خدمة الانسان و الاخلاص فى حب الوطن كانت قد أصبحت مكشوفة غير محروسة منذ زمن بعيد ، و أن المسلمين الذين يؤمنون بأن الله « رب العالمين » و أن محمداً رسول الله « رحمة للعالمين » هم أجدر و أحق بأن يتولوا هـــذه الزعامة ، و كان يتوقع أن هذه الحركة الانسانية ، و المجهود الانسانى سيؤدى إلى إزالة سوء التفاهم و عدم الثقة و الكراهية بين المسلمين و غيرهم من الطبقات ، و يكشف زيف الدعايات و الأباطيل الشائعة

www.abulhasanalinadwi.org

عنهم ، و التى ألقى ظلالها الكثيفة التاريخ المزور ، والمصالح السياسية ، وبالتالى تنجو البلاد من الخطر المحدق عليها نابعاً من الاضطرابات الطائفية ، و إراقة الدماء و الأعمال و الأفعال التى تثير غضب الله و سخطه ، و تجلب عقابه .

كذلك كان مما يبشر بخير ، و يبعث على التفاؤل الكبير ، أن العالم العربى الذى كان الداعى الأول إلى الاسلام ، و الذى يشمل المقامات المقدسة المباركة ، و هو الحارس الأمين لها ، و هو المختبر الأول لاحترام الانسانية ، و العدل و المساواة ، و هو مهد الدعوة إلى الأمن و السلام ، يعيش منذ مدة بأمن و سلام و ثقة متبادلة ، و رفاهية و رخاء ، و إحترام للانسانية ، و هو فى موقف لتوجيه الدعوة إلى العدل والانصاف ، واحترام الانسان ، و التعايش السلمى ، إلى العالم الخارجى ، وأن يقدم له من واقع الحياة ما فيه نموذج وقدوة ، وهو يحمل كفاءة لأن يحتل المنصة العالمية لتوجيه هذه الدعوة

www.abulhasanalinadwi.org

و يتولى مرة أخرى منصب الامامة و القيادة الانسانية .

كان هذا هو الوضع السائد إلى آخر يوليو ١٩٩٠م، فكانت الآمال معقودة ، وكان العاملون فى مجال الدعوة ، و الارشاد متفائلين ، رافعى الرأس ، و كان فى عيونهم بريق الأمل ، فاذا بالعـــالم يهتز فى ٢/ أغسطس ١٩٩٠م بحادثة مروعة لم تنكس رؤوس الدعاة إلى العدل والاحترام الانسانى فحسب ، بل نكست رأس الملة الاسلامية بكاملها ، داخل الهند و خارجها ، و غضت بصرها ، و تندى لها جبينها ، وإنى كدارس متواضع للتاريخ الاسلامى و مؤلف فيه ، لا أذكر أن المسلمين من حيث الملة أصيبوا بمثـــل هذه الصدمة العنيفـة التى أدت إلى خجل و ذلة و مهانة منذ قرون عديدة ، و تزيد هذه المـأساة شدة و وطأة ، أنها وقعت فى منطقة عربية مجاورة للنطقة التى كان منهـــا الاشعاع الأول لاحترام الانسان ، و العدل و الاحسان ، و جزاء الاحسان بالاحسان و الكرامة ، و نجدة المظلوم و الضعيف ، و تطور هـــذا الاشعاع إلى حركة عالميـة

www.abulhasanalinadwi.org

و دعوة طبقت الآفاق ، أعنى بذلك الغزو العراقى المفاجئ للكويت ، الذى أذاعته محطات العالم و وسائل الاعلام العالمية كصاعقة .

إن خطورة هذا الحادث المؤلم ، و ضخامته و تأثيره السيئ على الضمير الاسلامى و الانسانى ، ترجع إلى أسباب عديدة منها :

١ــ إن غزو بلد عظيم كالعراق لبلد صغير كالكويت بعد أن حقق ذلك البلد انتصاراً على بلد عظيم واسع الأطراف كايران يقدم مثالا سيئا لا يتطابق مع التعاليم الاسلامية الخلقية ، و التقاليد الاسلامية فحسب ، بل إنه يتنافى مع الضمير الانسانى ، ومبادئ الأخلاق العامة ، و يعتبر اجراماً مذموماً ، و مرادفا للقرصنة ، و مما يزيد خطورة أن كلا البلدين المعتدى منهما و المعتدى عليه ، بلد مسلم و عربى ، ثم إنه اعتداء لبلد على بلد كانت له منة و فضل عليه فى العهد القريب فى وقت المحنة و البلاء ، و كان

www.abulhasanalinadwi.org

قد أجزل العطاء عليه ، و لم تكن له جريمة يستحق بها هذا العقاب .

٢ــ تعاقبت بعد غزو العراق للكويت و استيلائه عليها الأعمال و التصرفات الشنيعة و المخزية التى لا يوجد لها نظير إلا فى تاريخ الغزاة و الفاتحين الجبابرة المستبدين فى تاريخ الحروب ، و الفتوح المماثلة ، و قد أشار القرآن الكريم إليها بلسان ملكة سبا ، فأصبحت خالدة إلى يوم القيامة :

« إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها ، و جعلوا أعزة أهلها أذلة و كذلك يفعلون (١) » .

٣ــ ثم إن القائد العراقى الرئيس صدام حسين قام بنسخ كل ما سجله من بطولات وانتصارات و تضحيات خلال حربه مع إيران بالصلح مع إيران ، على شروط إيران ، من طرف واحد ، و طرح بذلك جانب الحائط ما خاضه من معارك

---

(١) سورة النمل الآية ٣٤ .

www.abulhasanalinadwi.org

ضارية معها لرفض هذه الشروط ، وما ضحى به شعبه من نفوس غالية تبلغ مآت الألوف ، و ما تسبب منها من خسائر جسيمة ، و كان تنازله بمثابة إساءة إلى تلك الأرواح الغالية ، وذهبت دماء خيرة الشباب ومعاناتهم سدى ، واستحق أن يسأل : « بأى ذنب قتلت (١) » .

إننا كنا نقرأ هذه الآية الكريمة :

« و قدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً » (٢) ، فكنا نعتقد « و تلك حقيقة » أن الله تبارك و تعالى وصف فى هذه الآية عاقبة الأعمال فى الآخرة ، و إنه ذكر مصير بعض النفوس التى لم تصدر منها الأعمال الصالحة لنيل رضا الله ، و إنما كانت لغرض

---

(١) سورة التكوير الآية ٩ ، وقد تساءل وزير خارجية بريطانية : ماذا كانت جريمة هؤلاء القتلى الذين قتلوا فى الحرب ، أليس ذلك ظلماً وإساءة إليهم ؟ !

(٢) سورة الفرقان الآية ٢٣ .

www.abulhasanalinadwi.org

من أغراض الدنيا ، فحبطت أعمالها ، و بهذه التجربة مع الرئيس العراقي فى صدد التضحيات التى بذلت فى الحرب مع إيران ، علمنا مصداقيـــة هذه الآية عـلى الحياة الدنيا كذلك ، و إن صاحب العمل نفسه يعامل أحياناً بالنسبة لأعماله هـــذه المعاملة ، و يلجأ إلى موقف مضاد أو معكوس تحبط به أعماله الجليلة ، فتصبح منجزاته هبـــاءاً منثوراً .

٤ــ كان الرئيس صدام يعقد به الأمل فى بعض الأوساط المتفائلة إنه قد يكون مؤهلا لملأ الفجوة التى كانت تلمس فى قيـادة العالم العربى أو يوفقـــه الله تعالى للاجتهاد من أجل توحيد الصفوف و ترصيفها لمواجهة اسرائيل .

و لـكن خابت هذه الآمال والتطلعات ، و لم تلبث هذه الأمانى إلا قد انقلب هذا البطل المغوار على اخوته وأشقائه و فتح جبهة جديدة داخل البلاد العربية ، فزحزح

www.abulhasanalinadwi.org

كل ما يعقد به المسلمون من أمل و ثقة ، بل بتعبير أصح إنه حطم جميع هـذه الآمال المعقودة به ، و خابت به الظنون .

٥ــ إن غزو العراق للكويت ، و عدم إصغائه إلى نداء القادة العرب والمسلمين وعدم إنصاته لنصيحتهم و تماديه فى موقفه ، و تغاضيه عن جميع المخاطر التى تترتب من مثل هذا الموقف الطائش ، قد أثارت شبهات و مخاوف بأن لا يسوقه طمعه أو طموحه ــ لا قدر الله ــ إلى التعرض للجزيرة العربية وعلى أخصها المملكة العربية السعودية التى تتولى خدمة الحرمين الشريفين و حفظها و صيانتها ، و الاحتفاظ بقداستها ، و التى أنجزت تلك الخدمة التاريخية التى لا يوجد لها نظير فى تاريخ القرون الماضية فى تأمين الأمن والسلامة للأماكن المقدسة ، ورعاية ضيوف الرحمن و حسن و فادتهم ، و توفير وسائل الراحة

www.abulhasanalinadwi.org

والأمان ، وخاصة توفير مياه الشرب ، والمواصلات ، فلا يطمع فى المساس بها ، فتقع هـذه المنطقة المحروسة عرضة لمطامعه و هوسه للقيادة و الحكم ، الذى لا يستبعد من أى قائد كان فى نشوة الانتصار العسكرى ، أو كانت وراءه قوة عسكرية قاهـرة ، وقد أشار شاعر الاسلام العلامة محمد إقبال فى شعر له إلى هذه الحقيقة التى يصدقها غزو العراق للكويت ، يقول :

« هذه رسالة التـاريخ الخالدة أن نشوة القوة تنذر بخطر جسيم » .

كانت هذه المخاوف و الشبهات التى لا تعتبر من المستحيل فى تاريخ القوى الطامحة ، هى التى حملت حكومة المملكة العربية السعودية على الاستعانة بالولايات المتحدة و بريطانيا لتهيئة الوقاية العسكرية ، و كم تمنى المسلمون فى العالم ، و خاصة المسلمين فى القارة الهندية (الذين تجرعوا مرارة السلطة الأوربية) لو كانت إحدى الدول الاسلامية

www.abulhasanalinadwi.org

قادرة على الدفاع بنفسها عن جزيرة العرب ، و الحرمين الشريفين بمساعدة المملكة العربية السعودية عسكرياً فى هذه الفرصة الغالية ، وتعتبر الدفاع عن هذه الأماكن المقدسة ، أكثر شرفاً و سعادة و اعتزازاً من الدفاع عن بلدها ، و تعده وسيلة للقربى عند الله و نيل رضاه .

٦ــ ولو قيل فى تبرير غزو العراق للكويت ، وطمعه فى البلد العربى الآخر : إن هذه البلدان العربية ، و الامارات الخليجية كانت تستدعى مثل هــذه الاجراءات التأديبية منذ زمان ، و إنه كان نتيجة لحياة الترف و البذخ فيها ، و إن القرآن الكريم قد أشار إلى نتائجها السيئة وأنذر منها ، فانى أقول باعتذار ، و أرى نفسى مضطراً إليه أنه لم يتجرأ أحد فى الشطر الأخير من القرن الميلادى الجارى (١٩٤٠م - ١٩٩٠م) ليس فى بلاد العجم بل فى العالم العربى كله فى نقد الأحوال السائدة فى هذه المناطق كما وفق الله تعالى لذلك هذا العبد الضعيف ، و قد صرح ذلك

www.abulhasanalinadwi.org

فى كتاباته و كلماته التى ألقاها فى مناسبات عديدة ، و يرى ذلك من واجبه الدينى (١) .

أقول إن علاج هذه الأوضاع لم يكن طريقه الصحيح أن يغزو بلد كبير بلداً صغيراً غزواً مباغتاً ، ويستولى عليه بلا هدف معين للدعوة و الاصلاح و تصحيح الأمور ، و إنما كان علاجها الدعوة الاسلامية و الحركة الهادفة للاصلاح ، و المجهود المخلص و الجدى لاحياء الدين ،

---

(١) لتصديق هذا البيان يراجع كتاب : « العرب و الاسلام » ، « إلى الاسلام من جديد » ، « المسلمون و قضية فلسطين » ، « كيف ينظر المسلمون إلى الحجاز وجزيرة العرب ؟ » « اسمعوها منى صريحة أيها العرب » « اسمعى يا مصر » ، « اسمعى يا سوريا » ، « اسمعى يا زهرة الصحراء (الكويت) » والكلمة الأخيرة التى ألقاها فى جدة: « حاجة العالم إلى مجتمع إسلامى مثالى أفضل » .

www.abulhasanalinadwi.org

و الجهد لانشاء نظام إسلامى صحيح فى البـــلاد ، و منهج إسلامى للحياة ، و إنشاء نظـــام صالح للتعليم و التربيـــة (يقوم بصياغة ذهن الشباب و النشء الجديد) و إيجاد مجتمع إسلامى مثالى ، و بيئة إسلاميـــة صالحة ، تجذب القلوب ، وتؤلف النفوس و تكون قدوة للآخرين و مثالا لهم يقتدى به .

و لـكن مع الأسف الشديد أن البلد الغازى ـ العراق ـــ كما تدل عليه معلوماتى و دراستى ـــ لا يتصف بأى وصف من هذه الأوصاف أو أى سمة من هذه السمات ، فلا مبرر له شرعياً ولا خلقياً لاقتحام مثل هذه المجازفة ، لقد أقلق هذا الحادث ذهنى و فكرى ، و أقض مضجعى إلى حد لا أذكر أنى تأثرت مثله قبل حدوث هذه الفاجعة فى حياتى ، لأنى ـ ذلك فضل الله و تقدير العزيز العليم ـ ـــ منذ أن تطورت فى القدرة على الـكتابة ، و الخطاب و الدراسة ، كرست ما كنت أملكه من قدرة محدودة للتعبير . و ما توفر لى من وقت ، على قضايا العالم العربى ،

www.abulhasanalinadwi.org

و كانت الأمة العربية و الدول العربية مجال عملى و شغلى الشاغل و موضوع دراستى ، و خطابى ، و كانت معظم مؤلفاتى و كتاباتى باللغة العربية أصالة ، ثم نقلت هـــذه المؤلفات إلى اللغات الأخرى ، و أستعير هنا ما قاله شاعر الاسلام محمد إقبال تحديثاً بالنعمة ، و تعبيراً عن حقيقة الحال ؟ .

« إن كان مزمارى عجمياً ، فان ألحانه عربية ، ونغمى عربى » .

ولصلتى بهذه المنطقة قلبياً وفكرياً ، كان من الطبيعى تألمى بهذه الحادثة المفجعة ، و ما يترتب منها من أخطار ، وتهديدات للدول العربية المجاورة ، و خاصة أرض الجزيرة العربية المحبوبة إلى النفس ، و الأماكن المقدسة ، والحرمان الشريفان فقد عشت فيها قلبياً وذهنياً فى الحقيقة و الأحلام .

إن ما يتعلق بالجزيرة العربية ، و الحجاز المقدس ، و الحرمين الشريفين — زادهما الله شرفاً وحرمة — و ما

www.abulhasanalinadwi.org

يتعلق بمستقبلها و حرمتها و كرامتها ، و قداستها و وقايتها من المكروه بطرق غيبية حقيقة من حقائق التاريخ ، فانها مهبط الوحى ، و مطلع الدين الأخير الخالد ، و الملجأ الأخير له ، و يشهد القرآن ، و يشهد التاريخ أنها بقيت مصونة و مأمونة منذ حادثة الفيل و غزو جيش أبرهة ، وحتى بعد زوال الخلافة العثمانية التى كان سلطانها و خليفتها يعد ذلك من شرفه وسعادته أن يصف نفسه بخادم الحرمين الشريفين ، و بعد استيلاء الدول الأوربية الاستعمارية لمعظم البلدان العربية والاسلامية بقيت على كرامتها وحرمتها ، وظلت هذه الأماكن فى عيون المسلمين أغلى و أثمن و أكرم من أوطانهم ، و لا يزال يرن فى أذنى ما قاله العلامة محمد إقبال :

« فليتحد المسلمون فى العالم لحماية الحرم من ساحل النيل إلى سفوح كاشغر »

إنى واثق برحمة الله تعالى التى أحاطت دائماً بهذا الدين الأخير ، و الدين المقبول عند الله ، و هو الاسلام ،

www.abulhasanalinadwi.org

و يشهد به التاريخ ، أن هذه السحب المتراكمة ستنقشع و ستزول المخاوف و الشبهات ، و سيطلع من خلال هذه السحب الكثيفة ، والظلام الحالك ضوء جديد ، ينير الطريق ، و يبعث على الطمأنينة ،و السكينة ، ويعيد الشرف و العزة و الكرامة ، والدعوة إلى الحق و إنقاذ الانسانية ، وسيقول ممثل هذه الانسانية التائهة البائسة للدعاة الأولين إلى الاسلام و الحاملين للقرآن ، وحراس الحرم :

« لقد دمرت القوى الطاغية الافرنجية هذا العالم ، فانهض يا عامر الحرم و ابدأ بتعمير عالم جديد » .

و لكن هذا الهدف لا يتحقق ، و هـذا الحلم لا يتحول إلى حقيقة إلا باحداث انقلاب فى الحياة ، والسيرة و السلوك ، و الأخلاق ، ليس فى العالم العربى وحده ، بل فى سائر أنحاء العالم الاسلامى ، وفى المجتمعات الاسلامية إنه يتحقق بصياغة الحياة صياغة إسلاميـة ، و سبكها فى بوتقة التعاليم الاسلامية السمحة ، إنه يطلب إعادة الايمان بصدق الاسلام و كونه منهجاً أبدياً للحياة و الدعوة إليه ،

www.abulhasanalinadwi.org

واتباعه فى الحياة ، وايجاد حماس و عاطفة له فى القلوب ، إنه يحتاج إلى اتباع حياة وعـــد الله تعالى النصر عليها ، و الرحمة ، و الفضل ، و تجنب ما يسخط الله من أعمال و عادات و سلوك ، و صدق الله العظيم .

« و لينصرن الله من ينصره ، إن الله لقوى عزيز » (سورة الحج الآية ٤٠) .

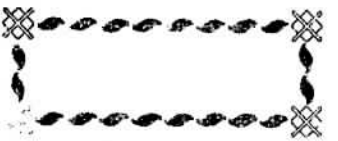

www.abulhasanalinadwi.org